دكتور يوسف القرضاوي

عالم وطاغية

سعيد بن جبير ... والحجاج بن يوسف

مسرحية تاريخية

الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية . عابدين
القاهرة - تليفون ٣٩١٧٤٧٠

obeikandl.com

الطبعة الثامنة
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م

جميع الحقوق محفوظة

مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر
٢٨ شارع العباسية - القاهرة - ت: ٤٨٢٧٨٨١

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هذه المسرحية جديدة قديمة، جديدة فى صورتها هذه، قديمة فى موضوعها نفسه..

فقد كنت كتبتها بشكل آخر منذ سبعة عشر عاماً، وقدر لها أن تمثل وأن تلقى نجاحا وقبولا حسنا، ثم قدر لها أن تضيع منى فلا أجدها. وهنا تعود بى الذاكرة إلى سنة ١٩٤٩، إذ كنت أحد الطلاب الذين اختطفتهم «كلاب الصيد» وألقت بنا فى بطون المعتقلات ما بين «هاكستيب» و«جبل الطور» من أراضى مصر، وما نقموا منا إلا أننا ندعو إلى الإسلام الصحيح: دينا ودولة، عبادة وقيادة، صلاة وجهادا، مصحفا وسيفا.

وفى معتقل «هاكستيب» فى الصحراء، كنت اقرأ فى كتب الأدب والتاريخ، فكان مما راقنى وأثر فى نفسى موقف سعيد بن جبير العالم الفقيه الشجاع، من الطاغية المتجبر الحجاج بن يوسف. وكان لى شغف بالأدب المسرحى حينذاك، حتى أننى ألفت – وأنا طالب بالصف الأول الثانوى – مسرحية شعرية، عنوانها «يوسف الصديق». ولهذا رأيت قصة سعيد مع الحجاج صالحة لأن تكون مسرحية ذات هدف ورسالة، وخاصة أننا كنا نصارع طغيانا كطغيان الحجاج، فما أحوجنا إلى مواقف كموقف سعيد!! وكتبت المسرحية، ومثلت فى معتقل الطور.. وضاعت أخيرا.

واليوم يعيد التاريخ نفسه، وتتكرر المأساة، ويتجدد الطغيان

والاضطهاد لحملة الدعوة الإسلامية، ولكن بصورة أعنف وأقسى، وأشد ضراوة ووحشية، وتبرز مواقف كمواقف سعيد فى مواجهة طغيان أخبث وأعتى وأشد كفرا من طغيان الحجاج.

ومن هنا وجدت الدافع الذى دفعنى إلى كتابتها بالأمس، لا يزال قائما اليوم، بل هو أقوى، وبدأت أكتبها من جديد، مستلهما تاريخ تلك الحقبة الغنية بالبطولات والمواقف الرائعة إلى جوار ما حفلت به من مظالم، وماطفحت به من تجبر وطغيان، ومستهديا بشخصية سعيد بن جبير، وما عرف به من علم وإيمان وشجاعة وثبات، سجلتها لنا كتب الأدب والتاريخ والرجال.

* * *

ومن هو سعيد بن جبير؟

إنه إمام من أئمة التابعين، كان ابن عباس حبر الأمة، إذا سأله أحد من أهل الكوفة فى مسألة قال: أتسألوننى وعندكم سعيد بن جبير؟

وقال فيه أحمد بن حنبل: «قتل سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه».

وقد أنكر سعيد - كما أنكر غيره من الفقهاء - سيرة الحجاج فى الناس، وعلوه فى الأرض بغير الحق، وإذلاله للمسلمين، وسفكه للدماء، ووأده للحريات، وانتهاكه للحرمات.

ولهذا لم يكد القائد الداهية الشجاع عبد الرحمن بن الأشعث القيسى يعلن ثورته على الحجاج وبنى أمية، ويزحف بجنوده على العراق، حتى

انضم إليه كثير من أهل العلم والدين، وفى طليعتهم سعيد بن جبير وعامر الشعبى ومطرف بن عبد الله بن الشخير.

ودارت المعارك بين جنود ابن الأشعث وجنود الحجاج، انتصر فيها الأول فى أول الأمر.. ولكن الحجاج بدهائه وجبروته وصبره، استطاع فى النهاية أن يتغلب ويهزم ابن الأشعث هزيمة ساحقة فى معركة مشهودة هى معركة « دير الجماجم » فقد فر من بعدها ابن الأشعث، وقتل من قتل من أنصاره وأسر من أسر وهرب من هرب.

وكان سعيد بن جبير أحد الذين فروا واختفوا، وكان المفروض فى منطق الإسلام أن يترك هؤلاء الفارون المنهزمون.. ألا يتبع مدبرهم، ولا يقتل أسيرهم، ولا يجهز على جريحهم، ولكن الحجاج لم يتقيد بهذا الحكم، فقتل كثيرا من الأسرى واتبع كثيرا من المدبرين، فجاء بهم وضرب أعناقهم. وهكذا طلب سعيدا حتى قبض عليه بعد بضعة عشر عاما، ومع هذه المدة الطويلة، لم يسامحه وكان من أمره ما كان.

ومضى سعيد بن جبير مثلا فى تاريخ الإسلام للعلماء المجاهدين، والدعاة الصادقين ﴿ **الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله، وكفى بالله حسيباً** ﴾.

المؤلف

الدوحة فى: ذى الحجة سنة ١٣٨٧هـ

شباط (فبراير) سنة ١٩٦٨م

* * *

الفَصْلُ الأوّلُ

(من منظر واحد)

الزمان: عصر بنى أمية فى عهد عبد الملك بن مروان وفى ولاية الحجاج على العراق.

المكان: مدينة واسط بالعراق وقد اختطها الحجاج بين الكوفة والبصرة.

الأشخاص: الحجاج وقد تصدر مجلس الإمارة فى زهو وخيلاء وحوله أربعة من حاشيته وحراس مسلحون.

* * *

أحد الحاشية: هنيئا لك أيها الأمير ما أحرزت من نصر على أعداء أمير المؤمنين وأعدائك.

ثان: إن العراق كله يتحدث عما أيد الله به الخليفة على يديك وعن هزيمة الفاتن المفتون ابن الأشعث وأنصاره المخذولين.

ثالث: لقد غر هؤلاء الطامعين تسامح الأمير ولين جانبه وشفقته على الرعية فجرأهم ذلك على الثورة والعصيان المسلح ولكنهم علموا من هم ومن هو الحجاج.

الحجاج: (فى زهو وكبرياء) لقد ظن ابن الأشعث أنه بانضمام الفقهاء إليه من أمثال سعيد بن جبير يستطيع أن يكسب المعركة، ولكن هيهات. هيهات. إن سيف الحجاج لايكسر، وجند بن مروان لا يقهر. وعند «دير الجماجم» الخبر اليقين.

رابع: لقد حدثنى أيها الأمير من شهدوا معركة « دير الجماجم » كيف عملت سيوفك فى ابن الأشعث وأتباعه، وكيف تطايرت رؤوسهم وتناثرت أشلاؤهم، فلما حقت عليهم الهزيمة استسلموا للأسر أو الفرار.

الحجاج: إن هؤلاء لم يتعظوا بما جرى لابن الزبير وغير ابن الزبير على يد الحجاج، فكان عاقبتهم ما ترون!! فليوقدوا ما شاءت لهم ظنونهم من نار الفتن فأنا لها. أنا لها!!

الثالث: (مرة أخرى) ولكن أيها الأمير إياك أن تأخذنك الرأفة بأسرى المعركة الذين لم يستسلموا إلا مرغمين وصدورهم تغلى حقدا عليك وعلى بنى أمية. ولا تنس هؤلاء الفقهاء الذين أيدوا ابن الأشعث وناصروه لا بمجرد الكلام بل بحد الحسام، وبخاصة ذلك الشيخ المسمى سعيد بن جبير.

الحجاج: نحن بانتظار كتاب من أمير المؤمنين فى شأنهم ولعله يصل اليوم.

الأول: أمير المؤمنين لا يأمر فيهم بغير السيف جزاء ما قدمت أيديهم. ومن سل سيف البغى قتل به.

الثانى: صدقت، والبادى أظلم.

الحاجب: وصل بريد أمير المؤمنين.

الحجاج: هو ما كنا ننتظره، ايتنى بالكتاب.

(الحجاج يفض الكتاب، ويقرأ بصوت مسموع): « سلام عليك

وعلى من معك. أما بعد: فكل من شارك فى فتنة ابن الأشعث فى معركة «الجماجم» فأعرضه على السيف، فمن أقر منهم بالكفر بخروجه علينا فخل عنه، ومن أبى وزعم أنه مؤمن فاضرب عنقه. والسلام».

الحجاج: (لحاجب) ناد رئيس الشرطة.

(يخرج الحاجب فيناديه فيدخل).

رئيس الشرطة: لبيك أيها الأمير.

الحجاج: اذهب إلى السجن فأحضر المتهمين بعد أن تقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين.

رئيس الشرطة: سمعا وطاعة أيها الأمير.

(يخرج، وبعد لحظات يدخل الحاجب)

الحاجب: بالباب شيخ كبير يقول: إن له حاجة إلى الأمير.

الحجاج: ردوه. ليس هذا هو يوم الحوائج، وطلاب الحوائج.

الحاجب: لقد انتهره الشرطة فبكى وصاح، وقال: إما أن تقتلونى، أو تدخلونى على الأمير. وهو شيخ مقوس الظهر تشتعل لحيته شيباً.

الحجاج: أدخله إذن.

(يدخل شيخ وقور ذو لحية بيضاء)

الشيخ: السلام عليك أيها الأمير.

الحجاج: وعليكم السلام. ما حاجتك؟

الشيخ: لقد أخذتم ابنى منذ سنة أو أكثر، فلا أنتم أطلقتموه، ولا أنتم حققتم فى أمره. وإن له لأما عجوزاً لا يرقأ لها دمع من أجله، وأختا أرملة هى أم لأيتام ثلاثة، وهو العائل الوحيد لهذه الأسرة كلها، والاعتماد – بعد الله تعالى – عليه.

الحجاج: (غير مكترث) ولماذا أخذناه؟

الشيخ: (محتدا) عجبا: أتحبسون الناس ولا تدرون لماذا حبستموهم؟!

الحجاج: (متلطفاً) يا شيخ، المحبوسون كثيرون، ولكل منهم جنايته وتهمته.

الشيخ: إن ابنى لم يرتكب جناية ولا بعض جناية. كل ما فى الأمر أن أحد أفراد العشيرة قد اتهمه عمالك، فطلبه ليقبض عليه فلم يجده، فأخذ ابنى مكانه.

الحجاج: هذا يحدث. والأجرب قد يعدى السليم. فإن أردت أن تفرج عن ابنك فأحضر الرجل الهارب. أما سمعت قول الشاعر:

ولرب مأخوذ بذنب عشيره ونجا المقارف صاحب الذنب!

الشيخ: (فى صرامة) ولكنى سمعت الله تعالى قال غير ذلك!.

الحجاج: وماذا قال؟

الشيخ: قال تعالى على لسان يوسف: ﴿**معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا**

متاعنا عنده إنا إذن لظالمون ﴾.

فهل نصدق الله تعالى أم نصدق الشاعر؟!.

الحجاج: أفحمتنى أيها الشيخ وقطعت حجتى. أطلقوا سراح ابنه.

أحد الحاشية: يا للعدل!! حيا الله الأمير العادل.

ثان: أميرنا وقاف عند كتاب الله.

آخر: الأمير لا يظلم مثقال ذرة.

(يخرج الشيخ.. وبعد لحظات يدخل الحاجب).

الحاجب: رئيس الشرطة قد حضر ومعه المتهمون.

الحجاج: أدخلهم واحدا بعد الآخر.

(يدخل رجل عليه سيما الفروسية، فينظر إليه الحجاج بغيظ وتجهم).

الحجاج: أنت أيضا؟؟ فى كل فتنة نراك! بالأمس كنت مع ابن الزبير، واليوم مع ابن الأشعث، ولو أن فتنة قامت فى بلاد واق الواق لكنت أحد دعاتها. ماذا جنيت أيها المنافق المغرور غير ذل الهزيمة وعارها؟!

الرجل: (بثبات واعتداد) والله ما ذل ذو حق، ولو تألبت عليه الدنيا كلها، ولا عز ذو باطل ولو طلع من جبينه القمر!

الحجاج: (مهددا) قتلنى الله إن لم أقتلك!

obeikandl.com

الرجل: ولكن عاملك أعطانى الأمان، على عهد الله وميثاقه.

الحجاج: وهل رعيت لله عهداً حتى نرعى عهدك؟

الرجل: أو تغدر بى يا حجاج وتنكث عهد الله من بعد ميثاقه؟

الحجاج: (متهربا من الإجابة) أخبرنى: ما الذى أخرجك علينا هذه المرة؟

الرجل: (باعتداد وقوة) ما أخرجنى من قبل، وسيخرجنى من بعد. إنكم تريدونها ملكا عضوضا ونحن نريدها خلافة وشورى. تريدونها كسروية أو قيصرية. ونحن نريدها قرآنية إسلامية.

الحجاج: (ساخرا) أو تعلمنا أنت الإسلام وفيه شابت نواصينا؟

الرجل: أو يجهل أحد أن سفك الدماء ومصادرة الأموال وإخافة المسلمين، منكر عظيم لا يقره الإسلام؟

الحجاج: إنما نؤدب أمثالك من البغاة المفسدين.

الرجل: وهبنى كنت باغيا، فهل عاملتنا بما يعامل به البغاة فى شرع الله؟ إن البغاة لايتبع مدبرهم، ولا يقتل أسيرهم، ولا يجهز على جريحهم، ولا يؤخذ مالهم.

الحجاج: ولكنكم لستم مجرد بغاة، إنكم كفرتم بنقضكم البيعة وخروجكم على أمير المؤمنين.

الرجل: إنما خرجنا على الظلم والطغيان بعد أن نفد صبرنا، ولم يخرج ابن الأشعث وحده، لقد خرج معه شعب العراق، يتقدمه علماء العراق. فهل هؤلاء العلماء كفار منافقون؟ وأنت وجنودك

يا حجاج المسلمون المؤمنون التائبون العابدون؟

الحجاج: (مغضبا) أتسخر بى أيها الخبيث؟ لألحقنك بإمامك المفتون الفتان ابن الأشعث، اذهبوا به فاضربوا عنقه.

(ثم تلفت إلى الرجل في شماتة قائلا):

لتعلم أينا المقتول المخذول؟ أنا أم أنت؟!

الرجل: إنى أحسبك أنك لن تموت مقتولا يا حجاج.

الحجاج: ولم أيها المتنبىء؟

الرجل: لأنى سمعت الصالحين من أمثال الحسن البصرى وسعيد بن جبير يدعون الله ألا يميتك مقتولا، وألا تموت إلا على فراشك.

الحجاج: (مبتهجا) الحسن وسعيد يدعوان الله أن أموت على فراشى؟!

الرجل: أجل يا حجاج، ليدخر الله عذابك كله إلى الآخرة، وهو أشد وأخزى.

الحجاج: (هائجا) اقتلوا الملعون. اذهبوا به إلى الجلاد.

أحد الحاشية: إنه يستحق.

ثان: هذا أقل ما يجزى به مثله.

آخر: وجزاء سيئة سيئة مثلها.

(يدخل من المتهمين شيخ من بنى تميم وشاب من بنى بكر).

الحجاج: (للشاب) أمؤمن أنت أم كافر يا بكرى؟

الشاب: أتريدنى كافراً أم مؤمنا؟

الحجاج: (فى صرامة) لا مكان للجدل. كافر أم مؤمن؟

الشاب: بل كافر.

الحجاج: (فى خبث) لكن الشيخ التميمى لايرضى بالكفر!

الشيخ: أعن نفسى تخادعنى يا حجاج؟ والله لو كان شيء أعظم من الكفر لرضيت به حتى أنجو من سيفك. (فضحك الحجاج وأمر بتخلية سبيله).

(ثم يتقدم إليه الرجل)

الحجاج: على دين من أنت؟

الرجل: على دين إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين.

الحجاج: اضربوا عنق هذا الكذاب.

(ثم يقدم رجل آخر)

الحجاج: على دين من أنت؟

الرجل: على دين أبيك الشيخ يوسف!

الحجاج: أما والله لقد كان صواما قواما. خل عنه يا غلام.

(الغلام يفك قيد الرجل فيدنو من الحجاج ويقول له فى تحد):

الرجل: يا حجاج: سألت صاحبى: على دين من أنت؟ فقال: على دين إبراهيم حنيفا، فأمرت به فقتل. وسألتنى نفس السؤال فقلت:

على دين أبيك الشيخ يوسف، فقلت: أما والله لقد كان صواما قواما. وأمرت بتخلية سبيلى.

الحجاج: (يهز رأسه) نعم نعم.

الرجل: والله يا حجاج لو لم يكن لأبيك من السيئات إلا أنه ولد مثلك لكفاه ذلك شرا.

(الحاشية ينظر بعضهم إلى بعض فى دهشة وذهول وهمهمة).

الحجاج: (فى هياج وانفعال) اقتلوه. اقتلوا الخبيث الملعون اضربوا عنقه.

(ثم يدخل شاب عليه سيما الصلاح اسمه ثابت).

أحد الحاشية: (هامسا فى أذن الحجاج) هذا من تلاميذ سعيد بن جبير!!

الحجاج: أنت من تلاميذ الشيخ الضال المضل سعيد بن جبير؟!

ثابت: لا.

الحجاج: أو تنكر صلتك به؟

ثابت: الشيخ الذى ذكرته لا أعرفه، إنما أعرف الشيخ الصالح المصلح العالم المجاهد سعيد بن جبير!!

الحجاج: الخارج على الخلافة، والساعى فى الفتنة، صالح مصلح أيها الجاهل المنافق؟

ثابت: من خرج على دين الله حق للناس أن يخرجوا عليه، والفتنة حقا هى اضطهاد العلماء والصالحين وتعذيبهم بغير حق. ألم تقرأ

يا حجاج قوله تعالى : ﴿ **إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق** ﴾ .

الحجاج : هذا علم سعيد بن جبير؟

ثابت : بل هذا كلام الله وكلام رسوله .

الحجاج : والذى تحلف به، لأحصدنكم واحدا بعد الآخر حتى لا أبقي منكم باقية .

ثابت : أنت تحصد والله يزرع . فانظر أين قدرة المخلوق من قدرة الخالق؟!

الحجاج : اقتلوا هذا المتعالم (ثم يلتفت إليه ويقول فى سخرية) : لعل شيخك الصالح المصلح ينفعك اليوم؟!

ثابت : النفع والضر بيد الله ﴿ **ألا له الخلق والأمر** ﴾ وعلى مثل هذا اليوم وطنا أنفسنا . . . لقد تمت الصفقة على يديك يا حجاج! .

الحجاج : أى صفقة أيها الجاهل المتعالم؟

ثابت : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة** ﴾ وهذا يوم تسلم السلعة لنتسلم الثمن : الجنة يا حجاج ﴿ **ومن أوفى بعهده من الله** ﴾ ؟! .

الحجاج : لن تجد هناك إلا النار . عجلوا به . اضربوا عنقه .

ثابت : ﴿ **فاقض ما أنت قاض، إنما تقضى هذه الحياة الدنيا** ﴾

(يذهبون بثابت إلى السياف)

الحجاج: من بقى من هؤلاء المارقين؟؟

رئيس الشرطة: بقى عامر الشعبى، ومطرف بن عبد الله وأما سعيد بن جبير فقد فر واختفى كما تعلم.

الحجاج: أو عجزتم بقضكم وقضيضكم عن تتبع ابن جبير والقبض عليه؟

رئيس الشرطة: أيد الله الأمير. إن بلاد الخلافة واسعة، وفى استطاعة أى إنسان أن يهرب ويختفى أياما تطول أو تقصر. ولكن لابد من معرفة مخبئه، والعثور عليه فى القريب العاجل.

الحجاج: أبقوا الاثنين فى السجن حتى نظفر بثالثهم، ولن يفلت ابن جبير من قبضتى. أنا الحجاج. أنا ابن يوسف!!

«ستار»

* * *

obeikandl.com

الفَصْلُ الثّانِى

(المنظر الأول)

(سعيد بن جبير مختفيا فى بيت أحد تلاميذه بمكة، وقد جلسوا حوله فى صورة حلقة علمية).

سعيد: بسم الله الرحمن الرحيم. نحمد الله ونصلى ونسلم على رسوله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد، فقد روى معاذ بن جبل عن النبى ﷺ أنه قال: «لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع: عن عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه! فيم أبلاه؟ وعن ماله! من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ وعن علمه، ماذا عمل فيه».

هذا الحديث أيها الأبناء يلقى تبعة جسيمة على حملة العلم، فإن الله سائلهم غدا عن علمهم ماذا عملوا فيه كما يسأل كل مكلف عن نعمه تعالى عليه: ماذا صنع بها؟.. نعمة الحياة، ونعمة الشباب، ونعمة المال، وأخيرا نعمة العلم، الذى ميز الله بها الإنسان عن الحيوان. العلم يا أبنائى نعمة جليلة يمنحها الله من يشاء من عباده، وشكر هذه النعمة: العمل بها وتعليمها للناس، فمن علم وعمل بما علم، فذلك هو العالم الربانى، ومن علم علما فكتمه عن الناس وهم محتاجون إليه ألجم يوم القيامة بلجام من نار، ومن علم ولم يعمل بما علم، فمثله كمثل الحمار يحمل أسفارا، ولهذا كان أخوف ما يخاف النبى ﷺ على أمته من

بعده: المنافق العليم.

أحدهم: (متعجبا) المنافق العليم؟ كيف يكون المرء عليما ومنافقا فى الوقت نفسه؟

سعيد: عالم اللسان، فارغ القلب من خشية الله تعالى. عن على بن أبى طالب أن رسول الله ﷺ قال: «أما أنى لا أتخوف عليكم مؤمنا ولا مشركا. فأما المؤمن فيحجزه إيمانه. وأما المشرك فيقمعه كفره. ولكن أتخوف عليكم منافقا عالم اللسان يقول ما تعرفون، ويفعل ما تنكرون». ذلكم يا أبنائى هو الذى امتلأ رأسه بالمعرفة، وفرغ قلبه من الخشية.

تلميذ: وما علامة خشية الله؟

سعيد: علامة الخشية لله أن تحول بينك وبين معصية الله.

تلميذ: وما الذى يعين المرء على خشية الله؟

سعيد: ذكر الموت والآخرة، فهو الذى يجلو صدأ القلوب، ويخفف من غرور الإنسان بالحياة الدنيا، وقد ترك فينا رسول الله ﷺ واعظين: ناطقا وصامتا. فالناطق هو القرآن، والصامت هو الموت، وكفى بهما واعظين!! وإنى لو فارقنى ذكر الموت خشيت أن يفسد على قلبى.

تلميذ آخر: هل يفهم من ذلك أن المؤمن يحتقر الحياة أو يكرهها؟

سعيد: لا يا بنى، إن كل يوم يعيشه المؤمن غنيمة، فيه يعبد ربه، أو ينفع

خلقه، أو يصلح نفسه، فالدنيا عنده مزرعة للآخرة، يبذر فيها اليوم ليحصد غداً.

(ثم يوجه الحديث إلى الجميع)

يا أبنائى! إن الدنيا لاتزن عند الله جناح بعوضة ومن هوانها على الله أن لايعصى إلا فيها، وأن أعداءه تعالى فيها يتمتعون ويتجبرون، وأولياءه وأحباءه يضطهدون ويشردون. فإياكم أن تلهيكم دنياكم عن آخرتكم، إن الله يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولكنه لا يعطى الدين إلا من أحب، ولا دين إلا بالعلم، ولا علم إلا بالعمل، ولا عمل إلا بالإخلاص، وإنى أدعو ربى عز وجل أن يجعلكم ذخرا لى من بعدى، وأن يمدكم بتوفيقه ورعايته، حتى تكونوا من الذين يعلمون فيعملون، ويعملون فيخلصون، ويخلصون فيقبلون.

تلميذ آخر: كأنها يا أبا عبد الله وصية مودع!!

سعيد: أى والله. فمن يدرى! لعل هذا اللقاء هو آخر العهد بكم فى هذه الدار الفانية.

تلميذ: أطال الله حياة الشيخ وأدام النفع به.

سعيد: قد علمتم أن هذا الرجل قد بث عيونه وجنوده يبحثون عنى فى كل مكان، وما أراه إلا مدركى، ومأراه إن أدركنى إلا قاتلى.

الطلاب: (فى لهفة وجزع) نفديك بدمائنا وأرواحنا وما ملكت أيدينا.

سعيد: إن الموت نهاية كل حى، ومن لم يمت بالسيف مات بغيره.

وطعم الموت فى أمر حقير كطعم الموت فى أمر عظيم

ولا أقول إلا ما قال الصالحون: ﴿**ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين**﴾. وسأخبركم: أنى جلست يوما وصاحبين لى، فوجدنا حلاوة الدعاء فدعونا كل بما فى نفسه، فكلنا سأل الله الشهادة فى سبيله، فأما صاحباى فاستجاب الله لهما، وفازا بها، وأما أنا فأنتظرها وأرجوها.

تلميذ آخر: وكيف نسكت على هذا الطاغية الجبار؟

سعيد: يا بنى! إن لله أمرا لابد أن ينفذه، فقد ثرنا معشر الفقهاء على هذا الرجل، وانضممنا إلى ابن الأشعث فى قتاله، تركنا الكتب وجهزنا الكتائب، وودعنا الأقلام، وحملنا السيوف، واستبدلنا بمداد العلماء دماء الشهداء.. أردنا أمرا وأراد الله غيره، امتحانا لإيماننا وصبرنا، فقتل منا من قتل، وأسر من أسر، وفر من فر..

طالب: وهل على أهل الحق من جناح إذا غلبوا أمام طغيان المبطلين؟

سعيد: لا جناح ولا إثم – إن شاء الله – إنما يكون الإثم إذا رضينا بالمنكر أو أعنا على ظلم. أما إذا سعينا واجتهدنا فهذا ما نملكه، ولا نملك النتائج. إن الله تعالى لا يسألنا: لم لم تنجحوا؟

ولكن يسألنا لم لم تعملوا؟

الطالب عمير: ولكن! أما لهذا الليل من آخر؟ أيظل الحق كسير الجناح؟

يقتل دعاته ويعذب أهله وأنصاره؟! بينما الباطل يصعر خديه، مختالا بعدده وعدته، يحكم فى الدماء والأموال والحرمات بما يريد، ولا معقب ولا معارض؟! ألسنا على الحق وهؤلاء الظلمة على الباطل؟!

سعيد: ثكلتك أمك يا عمير. أو فى شك أنت من ذلك؟ والله لو قطعونا إربا إربا، حتى تخطفتنا الطير، وتوزعتنا بطون السباع، ما شككنا أننا على الحق، وهم على الباطل.

عمير: فما بالهم ينتصرون وينتصرون؟ ونحن ننهزم وننهزم؟

سعيد: ويحك، إنما ننهزم حقا يوم نشك فيما ندعو إليه من حق، أو نغتر بما هم عليه من باطل، إن صاحب الحق الأعزل إذا ثبت على حقه في وجه الباطل المدجج بالسلاح فقد انتصر.. انتصر وإن كان فى نظر قصار النظر مغلوبا مهزوما. هل أضرب لكم مثلا؟

إن أبرز مثل فى تاريخنا هو رسول الله ﷺ يوم الهجرة: يوم أخرج من داره وبلده مضطهدا مطاردا مستخفيا فى جوف غار معتم، ترى ماذا تعتبرونه فى هذا الموقف؟ هل كان منهزما أم كان منتصرا؟

(الطلاب سكوت لا يجدون جوابا)

سعيد: ما لكم لا تجيبون؟

أحد الطلاب: أى مؤمن يجرؤ على أن يصف رسول الله بالهزيمة وهو الذى أيده الله بنصره؟

سعيد: أصبت وأحسنت، فهل كان فى هذا اليوم منتصرا؟

(الطالب يرتبك ولا يحسن الإجابة)

سعيد: أما أنا فلا أعد هذا اليوم إلا يوما من أيام النصر والعزة فى الإسلام. وما لى لا أفعل وقد جعله الله كذلك فى كتابه المبين، استمعوا معى إلى هذا الخطاب الإلهى: ﴿**إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لاتحزن إن الله معنا**﴾، فقد نصره الله إذن فى هذا اليوم، يوم الغار، فمن يجرؤ على أن يسمى الرسول منهزما فيه، وقد نصره الله؟

إن عمر الفاروق الملهم قد لمح ببصيرته هذا المعنى الكبير فى يوم الهجرة فجعله مفتتح تاريخ الإسلام، وليس معقولا أن يبدأ تاريخ المسلمين بيوم انهزم فيه الإسلام.

عمير: معذرة يا أستاذنا، فلعلى أغضبتك بكلمتى. وإنما قلت ما قلت، لأن الإنسان خلق من عجل، وكلما رأيت المحن والآلام والنكبات تنزل بساحة المؤمنين الدعاة إلى الله، ذهب الصبر، وضاق الصدر، وخاصة أنى أرى دعاة الباطل الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون، يعيشون فى نعيم وعافية، وقد أخذت الأرض لهم زخرفها وازينت، وظنوا أنهم قادرون عليها!.

سعيد: مهلا يا بنى. إن المحن والآلام لا بد منها لحملة الرسالات، وورثة النبوات، ليبتلى الله ما فى صدورهم، وليمحص ما فى قلوبهم، وليميز بها الخبيث من الطيب. أما ما يسرح فيه أهل الباطل من

نعيم وعافية، فإنه مكر من الله بهم، وإملاء منه لهم، حتى يقيم عليهم الحجة، ويقطع عنهم الأعذار، ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر، كما قال فى قوم من هؤلاء: ﴿**فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون. فقطع دابر القوم الذين ظلموا، والحمد لله رب العالمين**﴾.

وإن سنة الله يا بنى، هى مداولة الأيام بين الناس، فيوم لك ويوم عليك، ولكن المدار على العاقبة، والعاقبة للمتقين.

هل فهمت يا عمير واطمأن قلبك؟ أم لايزال فى صدرك حرج؟

إن كان ذلك يابنى، فإنك فى حاجة إلى أن تقرأ القرآن من جديد، وأن تفتح له عقلك وقلبك، لتعرف كيف يبتلى الله عباده بعضهم ببعض. ليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين. ألم تقرأ أول سورة العنكبوت: ﴿**ألم. أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون**﴾. ألم تقرأ قوله تعالى فى سورة الفرقان: ﴿**وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون**﴾؟!.

وقوله سبحانه فى سورة القتال: ﴿**ذلكم ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض**﴾. وفى السورة نفسها يقول: ﴿**ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم**﴾.

والله ما زال البلاء ينزل بأصحابى من حولى وأنا فى عافية، حتى

احتقرت نفسى، وظننت أن ليس لله فىّ حاجة حتى نزل بى البلاء، فرجع إلىّ الأمل أن أدرك أصحابى، وأنال حظا مما يناله الدعاة إلى الله.

عمير: جزاك الله عنا خير ما يجزى به أئمة الهدى. لقد – والله – حببت إلىّ البلاء.

سعيد: إن المؤمن يسأل الله العافية، ولا يتمنى البلاء، فإذا نزل به صبر صبر الأبطال.

(يدخل أحد الشرطة فجأة على سعيد وتلاميذه فيسألهم).

الشرطى: مكانكم. علمت أن فيكم هنا سعيد بن جبير، فأيكم هو؟

التلاميذ: (فى صوت واحد) أنا.

الشرطى: يا عجبا! كلكم سعيد بن جبير؟

التلاميذ: أجل! كلنا سعيد بن جبير.

الشرطى: سعيد بن جبير واحد أم عشرة؟! سعيد واحد منكم، فدلونى عليه واختصروا الطريق، وإلا أبلغت عنكم الوالى، فحقت العقوبة عليكم جميعا.

أحدهم: أنا سعيد بن جبير.

آخر: لاتصدقه.. أنا سعيد.

ثالث: لاتصدقهما.. أنا والله سعيد.

الشرطى: وتحلف بالله أنك سعيد؟!

سعيد: لا تصدقهم يابنى. أنا سعيد، وهؤلاء تلامذتى. هل تظن سعيد ابن جبير شابا؟! إن سعيدا فى السابعة والخمسين، وهؤلاء شباب كما ترى، فكيف تصدق أن أحدهم سعيد بن جبير؟!

الشرطى: هذا صحيح. كيف غاب عنى هذا؟

(ثم يلتفت إلى الذى حلف منهم أنه سعيد):

كيف حلفت بالله يا هذا أنك سعيد؟ طالب علم وتحلف كاذبا؟!

التلميذ: ما حلفت كاذبا ولا عدوت الصدق قط. قلت: أنا والله سعيد. وهذا حق. فإنى – وأيم الله – سعيد كل السعادة إذا فديت فقيه الإسلام سعيد بن جبير.

الشرطى: ما رأيت كاليوم فى الإيثار والفداء. قاتل الله الحجاج، يتخذنا أدوات لإيذاء المسلمين وتعذيب أهل العلم والدين، سحقا لهذه الوظيفة السيئة..

(ثم يلتفت إلى سعيد ويقول):

يا شيخ، إنى والله تاركك، وإنى لأرجو أن ألقى الله ويدى بريئة من القبض عليك، وتسليمك للظلمة الجبارين! وأنتم يا أبناء الشيخ. أناشدكم الله ألا تخبروا أحدا بأنى رأيتكم أو رأيتمونى، فإن الطاغية لو علم ذلك لم يكم لديه عقاب إلا ذبحى.. إلا ذبحى (ويشير إلى رقبته) والله لولا أفراخ صغار أعولهم ما بقيت فى هذا

العمل يوما واحدا. اللهم عفوك وغفرانك (يسير الشرطى خطوتين ثم يعود فيقول) : الأفضل أن يترك الشيخ هذا البيت إلى بيت بعيد عن أرجل الناس وأنظارهم، عسى الله أن يعمى عنه أعين الظالمين.

أحد التلاميذ : الحمد لله. لن يزال الخير فى هذه الأمة إلى يوم القيامة، من كان يظن أن مثل هذا الشرطى يحمل مثل هذا القلب؟!

(يخرج الشرطى. ويلتفت سعيد إلى تلاميذه)

سعيد : لقد أخجلتمونى أيها الأبناء الكرام بصنيعكم. وإنى والله لأعجز من أن أشكركم، فأدع ذلك لربى يتولى جزاءكم عنى، إنه غنى حميد.

يا أبنائى! إن الذين يجتمعون على الدنيا اليوم، يفترقون من أجلها غدا، وأن الرابطة التى لا تنفصم عراها، هى رابطة الدين. رابطة التقوى، فاحرصوا على أن تظل رابطتكم لله وفى الله عز وجل، فإن ما كان لله دام واتصل. ألم تقرأوا قول الله تعالى : ﴿ **الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين** ﴾.

أستودعكم الله يا أبنائى.

(ستار)

* * *

(المنظر الثانى)

(سعيد فى بيت بعيد عن العمران فى أطراف مكة، فيدخل عليه صديق له هو أبو حصين).

أبو حصين: أتدرى يا أبا عبد الله ما قال والى مكة الجديد للناس فى المسجد؟

سعيد: ماذا قال؟

أبو حصين: قال: والذى نحلف به ونحج إليه، لا أجد سعيدا إلا قتلته وهدمت داره. وقد أجلت لكم فيه ثلاثة أيام. هكذا قال الوالى وهو يرغى ويزبد. وقد بلغنى أن رجلا دله على مكانك هذا، ولابد أنه مرسل فى طلبك. فأطعنى واخرج من هنا.

سعيد: يا أبا حصين، والله لقد فررت واختفيت، حتى استحييت من الله، فدعنى هنا حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا.

أبو حصين: والله إنى لأراك كما سمتك أمك سعيدا. أستودعك الله.

سعيد: أستودعك الله الذى لا تضيع ودائعه.

(يخرج أبو حصين، وبعد قليل يطرق الباب طارق، ويدخل رجل أرسله الوالى للقبض عليه).

الرجل: لقد عرف الوالى مكانك فأرسلنى إليك، وأمرنى أن آخذك واذهب

obeikandl.com

بك إليه، وإنى أعوذ بالله من ذلك.

فالحق بأى بلد شئت وأنا معك.

سعيد: لقد فررت واختفيت حتى استحييت من ربى، وما قدره الله كائن.

الرجل: إنما نفر من قدر الله إلى قدر الله. وإنى لا أخاف عليك بقدر ما أخاف على هذه الأمة، أن يحل بها سخط الله إذا قتلت علماءها. فأطعنى ولنخرج معا، كما خرج موسى فارا من فرعون ﴿**قال رب نجنى من القوم الظالمين**﴾.

سعيد: (وقد أثر فيه كلام الرجل) ألك ههنا أهل وولد؟.

الرجل: نعم.

سعيد: إذن يأخذوهم ويصيبهم من المكروه ما كان سيصيبنى.

الرجل: إنى أكلهم إلى الله.

سعيد: لا والله. لا أكون سببا فى إيذاء مسلم أبدا.. نفذ ما أمرت به، وسيجزيك الله بحسن نيتك.

الرجل: الوالى سيبعث بك إلى الحجاج، وهو من تعلم عتوا واستكبارا وقسوة.

سعيد: لتكن مشيئة الله. لا حرج عليك. نفذ ما أمرت به.

الرجل: لقد رضيت أن أكون رسول الوالى إليك، لأفر بك إلى مكان أمين. فكيف تطاوعنى نفسى أن أضع الوثاق فى يديك وأسلمك لمن لايرحم؟!.

obeikandl.com

اصنع معروفا وهيا نخرج من هنا.

سعيد: سيؤذى أهلك وأولادك بسببى، ولا تطاوعنى نفسى بذلك أبدا، ولو أصابنى ما أصابنى. افعل ما أمرت به، هاك يدىّ فأوثقهما.

الرجل: (وقد ذرفت عيناه - يتقدم فيوثق يديه ويقول): لا راد لما قضاه الله، اللهم إنك تعلم أنى لذلك من الكارهين. إنا لله وإنا إليه راجعون!

(ستار)

***

obeikandl.com

الفَصْلُ الثالِث

(المنظر الأول)

(زنزانة فى سجن تضم فى أحشائها ثلاثة من الفقهاء: عامر الشعبى، ومطرف بن عبد الله، وسعيد بن جبير).

الشعبى: ماذا عندك هذا الصباح يا مطرف؟

مطرف: رؤيا رأيتها استبشرت بها خيرا، وأولتها أنى أخرج من هذا السجن الكئيب.

سعيد: (كالمعترض) ليس الخير دائما فى الخروج من السجن، إنما الخير دائما فى الثبات على الحق. إن يوسف الصديق عليه السلام خير بين الفاحشة وبين السجن فقال: ﴿**رب السجن أحب إلىَّ مما يدعوننى إليه**﴾.

الشعبى: ولكنه ليس السجن فقط يا أبا عبد الله، إنه القتل.. إنه الذبح!

سعيد: ﴿**ولئن قتلتم فى سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون**﴾.

مطرف: أتريد أن تسلم رقبتك إلى هؤلاء الطغاة وهم لا يخشون الخالق ولا يرحمون المخلوق؟!

سعيد: (مشيرا إلى رأسه) وماذا على ابن جبير إذا فصل هذا عن هذا فى

سبيل الله! (فى عنف وإنكار) أنسيتم يا قوم ما يريده هؤلاء منكم؟ يريدون أن تعترفوا أمامهم أنكم خوارج مارقون، وأنكم كفرتم بخروجكم عليهم، فهل تقرون بالكفر؟

الشعبى: يا أبا عبد الله ﴿**إلا أن تتقوا منهم تقاة**﴾.

سعيد: وأنت يا مطرف تنوى أن تعترف أمام الطاغية بأنك كافر؟

مطرف: يا أبا عبد الله، إن فى المعاريض مندوحة عن الكذب. سأقول كلاما ملفوفا على سبيل التوريه. أهرب به من الجواب الصريح.

فلماذا لا تصنع مثلما نصنع وتنجو برأسك يا سعيد؟

سعيد: وما رأس سعيد فى رؤوس الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين؟ ألم ينشر نبى الله زكريا بالمنشار فرقتين؟ ألم يذبح السيد الحصور يحيى؟ ألم تروا عن النبى ﷺ: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»؟ ألم يمت عمر وعثمان وعلى والحسين رضى الله عنهم مقتولين ظلما؟.

الشعبى: بلى.. وقد قلت كلمة الحق، بل قاتلت من أجلها.. ثم أراد الله لنا ما ترى.. فلابد من الصبر، حتى تتهيأ لنا فرصة أخرى.

سعيد: سأظل على كلمة الحق أحيا بها وأموت عليها، وأتحدى بها جبروت الطغاة. والله غالب على أمره.

مطرف: وهبك قلت اليوم كلمة الحق صريحة مرة، فهل يزول جبروت الطغاة أو طغيان الجبابرة؟ وتنحل العقدة؟

الشعبى: كلا، سيقتل سعيد بن جبير، العالم الفقيه وسيبقى الحجاج.. الطاغية الظالم، وستبقى دولة الظلم والطغيان كما هى.

سعيد: (فى غضب) ما هذا الذى أسمعه منكما؟ أمثلكما يقول هذا الكلام؟ متى كان الحرص على الحياة غاية الأنبياء وورثة الأنبياء؟ والله إن كل شهيد يسقط فى سبيل الحق ليزلزل الأرض تحت أقدام الطغاة. وقد يبقى الطغيان حينا من الدهر، ولكنه سيبقى مرتجف الأوصال محروما من الأمن والطمأنينة وراحة البال. على أن شجرة الإسلام لا يرويها إلا هذه الدماء التى تثبت أن الأمة لاتزال بخير، وأن فيها من يبيع نفسه لله طائعا مختارا.

(الشعبى ومطرف يتأثران بحديث سعيد ولهجته القوية).

الشعبى: معذرة يا أبا عبد الله. فما نحن إلا حريصون عليك وعلى انتفاع الأمة بك. فالناس محتاجون إليك يا سعيد، محتاجون إلى علمك وفقهك.

سعيد: يا شعبى، كما يحتاج الناس إلى من يعلمهم الفقه، يحتاجون إلى من يعلمهم الثبات على الحق فى وجه الجبابرة الطغاة.

مطرف: ما أرانا إلا فى مقام دون مقامك يا سعيد. دعه يا شعبى فو الله لكأنى أنظر إلى دم الشهادة يترقرق فى وجهه.

سعيد: **﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا، وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾**.

(السجان يفتح الباب ويدخل معه ثلاثة. يغلق عليهم باب

الزنزانة. الجميع صامتون).

(أحد الثلاثة يشق هذا الصمت، ويدنو من الشيوخ الثلاثة، ويوجه إلى مطرف بن عبد الله هذا السؤال):

الرجل: أفتنى يا شيخ، نفع الله بك.

مطرف: هذان إماما الكوفة وفقيهاها يفتيانك.

الرجل: من هما؟ يرحمك الله!!

مطرف: أما هذا فسعيد بن جبير، وهذا عامر الشعبى.

سعيد: وهذا مطرف بن عبد الله.

الرجل: لا حول ولا قوة إلا بالله! العلماء يسجنون ويعذبون! والفسقة الظلمة يسرحون ويمرحون.

(يتوجه الرجل إلى سعيد ويسأله):

أفتنى يا إمام، لقد حلفت على امرأتى بالطلاق ثلاثا: أن الحجاج فى النار، فهل تطلق امرأتى؟

سعيد: سل الشعبى يجيبك.

الرجل: (يتوجه إلى الشعبى) ما قولك؟

الشعبى: أيها الرجل، لئن كان الحجاج فى الجنة بعد كل الذى فعله فوالله ما يضرك أن تعيش مع امرأتك على حرام؟!

الرجل: شفيت والله صدرى.

obeikandl.com

(يتقدم آخر ويسأل الشعبى) :

الرجل الآخر : أجبنى يا إمام أيدك الله . هل الحجاج كافر أم مؤمن؟؟

الشعبى : (ساخرا) الحجاج مؤمن .

الرجل الآخر : (منكرا) الحجاج الغاشم الطاغية الجبار قاتل المسلمين وعدو الصالحين، ومذل الأحرار وفرعون العرب، مؤمن؟؟!!

الشعبى : نعم مؤمن بالجبت والطاغوت . . وكافر بآيات الله!

الرجل : أما هذا فنعم .

(يدخل السجان، فيجد القوم صامتين مطرقين) . .

السجان : ما لكم سكتم حين دخلت عليكم؟

سعيد : رحم الله امرءا قال خيرا فغنم أو سكت فسلم .

السجان : أيها الشيخ، إنى أراك من الصالحين، فما تقول فى أعوان الظلمة! .

سعيد : أعوان الظلمة كلاب جهنم يعوون فيها كما تعوى الكلاب .

السجان : ما تقول فىَّ؟ أأنا من أعوان الظلمةَ؟

سعيد : لا، أعوان الظلمة مثل من يغسل لك ثوبك، ويطهو لك طعامك . . . وو

السجان : (مستغربا) وأنا؟!

سعيد : أنت؟ . . أنت من الظلمة أنفسهم . ألست تساهم فى تعذيب

خلق الله؟! إن الله تعالى حين لعن فرعون وهامان، لعن معهما جنودهما. قال تعالى: ﴿**فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم، فانظر كيف كان عاقبة الظالمين**﴾ وقال: ﴿**إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين**﴾.

السجان: ولكنى لا أستطيع أن أقول: لا!!

سعيد: لو لم يعرفوا فيك القسوة ما ولوك هذا الأمر.

السجان: إنى أتقاضى على ذلك أجرا، لولاه جاع أولادى.

سعيد: رزق الله فى كل مكان، فإن شئت فابحث عن عمل آخر، ولا تشارك فى ظلم. ومن صدق الله، صدقه الله ﴿**ومن يتق الله يجعل له مخرجا، ويرزقه من حيث لايحتسب، ومن يتوكل على الله فهو حسبه**﴾.

السجان: (يرفع يديه إلى السماء) اللهم إنك تعلم أنى أعمل سجانا عند هؤلاء الحكام وقلبى يعلنهم. اللهم إنى أعوذ بك أن أكون ظالما أو عونا لظالم. اللهم اغفر لى ما مضى واجعل لى مخرجا مما بقى.

(ستار)

(المنظر الثانى)

(الحجاج فى مجلس الإمارة متكئا على أريكته، وعلى يساره بعض حاشيته. يدخل رئيس الشرطة).

الحجاج: أحضروا المتهمين الثلاثة واحدا بعد الآخر.

(يدخلون عليه مطرف بن عبد الله)

الحجاج: عرفت ما كتبه أمير المؤمنين فى شانكم؟

مطرف: عرفت.

الحجاج: أكافر أنت أم مؤمن؟

مطرف: أصلح الله الأمير، إن الذى شق العصا، ونقض العهد وخان الأمانة، وفارق السنة، وأخاف المسلمين، لجدير بالكفر.

الحجاج: (لمن حوله فى نشوة النصر):

لقد اعترف بكفره ونجا، خلوا عنه.

الحاشية: (بعض الحاشية لبعض فى خفوت) والله لكأنما يعرض بالأمير!

(يدخل الشعبى والحاجب يسر له فى أذنه) اعترف له بأنك كافر وانج برأسك.

(وكان الحجاج خافضا رأسه لم يشعر به، فلما رفع رأسه رآه).

الحجاج: وأنت يا شعبى فيمن أعان علينا وألب وسعى فى الفتنة؟

الشعبي: أصلح الله الأمير. لقد نصحنى الناس بأشياء أقولها لك، أرضيك بها وأسخط الله عز وجل، ولست فاعلا. ولكنى أصدقك القول: لقد خبطتنا أيها الأمير فتنة عمياء، لم نكن فيها بررة أتقياء، ولا فجرة أقوياء، حتى كان من أمرنا ما كان.

الحجاج: (لحاشيته) صدق. والله ما كانوا بررة أتقياء، فتورعوا عن قتالنا، ولا فجرة أقوياء فيقدروا علينا.

انطلق يا شعبى، لقد عفونا عنك.

هاتوا شيخ السوء، ورأس الفتنة

(يدخل سعيد بن جبير)

الحجاج: (متجاهلا) من أنت؟

سعيد: سعيد بن جبير.

الحجاج: بل شقى بن كسير.

سعيد: أمى كانت أعلم باسمى واسم أبى منك.

الحجاج: شقيت وشقيت أمك.

سعيد: إنما يشقى من كان من أهل النار، فهل اطلعت على الغيب.

الحجاج: لماذا فررت واختفيت هذه المدة كلها؟

سعيد: أقول ما قال موسى عليه السلام: ﴿**ففررت منكم لما خفتكم**﴾.

الحجاج: (محتدا) أتعرض بى؟

obeikandl.com

سعيد: (هادئا) بل أقرر واقعا.

الحجاج: أكافر أنت أم مؤمن؟

سعيد: (فى قوة) ما كفرت بالله منذ آمنت.

الحجاج: تدعى الإيمان أيها المنافق!! والله لأوردنك حياض الموت!

سعيد: (فى ثقة وارتياح) إذن أصابت أمى حين سمتنى سعيدا. فأى سعادة أعظم من الشهادة فى سبيل الله وجوار سيد الشهداء حمزة ابن عبد المطلب؟

الحجاج: (ساخرا مهددا) لن تجاور إلا الخوارج والمارقين ولأبدلنك بالدنيا نارا تلظى.

سعيد: (واثقا) لو علمت أن ذلك بيدك، لاتخذتك إلها من دون الله!

الحجاج: (مغتاظا) ويلك يا شقى!!

سعيد: إنما الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار.

(يتجه الحجاج بالحديث إلى ناحية أخرى)

الحجاج: ما قولك فى الخلفاء؟ وأيهم أفضل؟

سعيد: (يسد هذا الباب عليه):

لست عليهم بوكيل، وماأنا عليهم بحفيظ.

الحجاج: أيهم أحب إليك؟

سعيد: أرضاهم لخالقه عز وجل.

الحجاج: ومن منهم أرضاهم لخالقه؟

سعيد: علم ذلك عند من يعلم سرهم ونجواهم.

الحجاج: أبيت أن تصدقنى؟!

سعيد: بل لم أرد أن أكذب عليك.

الحجاج: وما تقول فى معاوية؟

سعيد: لقد شغلنى أمر نفسى عن تتبع أعمال الرجال والحكم عليهم.

الحجاج: تفر من الجواب؟!

سعيد: طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس.

الحجاج: ما رأيك فى اقتتال على ومعاوية؟

سعيد: تلك دماء طهر الله منها أيدينا، فلنطهر منها ألسنتنا.

الحجاج: وما تقول فىَّ؟

سعيد: أنت أعلم بنفسك.

الحجاج: ولكنى أريد أن أعرف رأيك.

سعيد: إذن يسؤوك ولا يسرك.

الحجاج: ولو..أريد أن أعرفه.

سعيد: أعفنى.

الحجاج: لا عفا الله عنى إن عفيتك.

obeikandl.com

سعيد: إن كان ولابد فإنى لأعلم أنك مخالف لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وهدى الراشدين من خلفائه. ترى من نفسك أمورا تريد بها حفظ هيبتك وتمكين سلطانك وهى تقحمك الهلكة وسترد غدا على الله فتعلم.

الحجاج: ألم أرسل الجيوش لتقاتل فى سبيل الله؟ ألم أبعث محمد بن القاسم الثقفى لفتح بلاد السند؟ ألم أوطد دعائم الأمن فى ديار العراق؟

سعيد: بلى.. ولكنك جبار فى الأرض، مسرف فى الدماء، والرسول ﷺ يقول: «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل امرئ مسلم» فكيف بمن قتل الألوف من المسلمين؟

إنك تريد يا حجاج أن تتخذ عباد الله عبيدا لك يطيعون فى المعروف والمنكر، ويقولون فى الحق و الباطل سمعنا وأطعنا. وديننا لا يقر الطاعة إلا فى المعروف ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق.

الحجاج: (كالمعتذر) أو تريد أن نترك الطامعين والمتربصين حتى يفتكوا بنا؟ لابد أن نتغدى بهم قبل أن يتعشوا بنا.

سعيد: ولكن دين الله لايعرف هذه الوجبات المنكرة. الغداء بقوم والعشاء بآخرين! لو كنت تريد الآخرة يا حجاج لم تؤثر عليها سلطانا إن بقي اليوم زال غدا.

(الحجاج يظهر التجلد، ويكظم غيظه، ويتجه بالحديث وجهة

أخرى) :

الحجاج: أنا أحب إلى الله منك.

سعيد: الله أعلم بالغيب، وسَتُوفّى غدا كل نفس ما كسبت، وهم لا يظلمون.

الحجاج: أنا مع إمام الجماعة، وأنت مع إمام الفرقة والفتنة.

سعيد: الجماعة ما وافق الحق، وإن كنت وحدك، كما قال ابن مسعود رضى الله عنه. والفتنة هى اضطهاد الناس فى دينهم.

الحجاج: هذه آراؤك الضالة التى تلقنها لتلاميذك.

سعيد: بل هو علم رسول الله ﷺ، أخذه عنه أصحابه، ورويناه نحن عنهم.

الحجاج: ألا ترى ما نجمع لأمير المؤمنين!

سعيد: لم أر شيئا.

الحجاج: يا غلام، أحضر من الذهب والفضة والكسوة والجوهر.

(فأحضره فوضعه بين يدى الحجاج)

الحجاج: ما قولك فى هذا؟

سعيد: هو حسن إن قمت بشرطه.

الحجاج: وما شرطه؟

سعيد: أن تأخذه من حله، فتضعه فى حقه، ولا تبخل به عن أهله، وإلا

obeikandl.com

ففزعة واحدة يوم القيامة تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها.

الحجاج: أتحب أن لك من هذا شيئا؟

سعيد: لا أحب ما لا يحب الله.

الحجاج: دعنا من هذا كله، يقولون إنك لم تضحك قط!! فما سر هذا؟

سعيد: لم أجد فى الحياة ما يضحكنى!! وكيف يضحك امرؤ طريقه من فوق جهنم؟ لايدرى أيمر من هناك ناجيا أم يسقط فيها جاثيا؟! **﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ﴾**.

الحجاج: فما بالنا نحن نضحك؟

سعيد: لم تستو منا القلوب. وكل ميسر لما خلق له.

الحجاج: ألم تسمع إلى العود والناى؟!

سعيد: لقد شغلنى أمر آخرتى عن لهو الحديث.

الحجاج: أحضروا العود والناى.

(يحضر الناى فينفخ فيه نافخ فيبكى سعيد)

الحجاج: ما الذى يبكيك؟! إنما هو اللهو والطرب!

سعيد: بل هو الحزن والكمد. لقد ذكرنى هذا النفخ أمرا عظيما: **﴿ يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجا ﴾**. **﴿ ونفخ فى الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون ﴾**.

الحجاج: أتخدعنى برقائق الكلام لأعفو عنك؟

سعيد: (شامخا) إن كان العفو من الله، وأما أنت فلا براءة لك ولا عذر يا حجاج.

الحجاج: (فى غضب) فاختر لنفسك أى قتلة تريد أن أقتلك!!

سعيد: (فى صرامة) بل اختر لنفسك أنت يا حجاج. فوالله ما تقتلنى قتلة إلا قتلك الله مثلها فى الآخرة.

الحجاج: والله لاقتلنك قتلة لم أقتلها أحدا قبلك، ولا أقتلها أحدا بعدك!!

سعيد: إذن تفسد على دنياى، وأفسد عليك آخرتك.

الحجاج: يا غلام. السيف والنطع

(يحضر الغلام النطع والسيف)

الحجاج: خذوه.

(يأخذه الغلام. فلما ولّى ضحك، فأخبره بعض جلسائه أن سعيدا ضحك)

الحجاج: ردوه.. ألم تقل إنك لم تضحك قط، فما الذى أضحكك الساعة؟

سعيد: أضحك من جراءتك على الله تعالى، ومن حلم الله عليك.

الحجاج: (مغيظاً) اقتلوه.. اقتلوا هذا الرجل.

سعيد: (وقد اتجه إلى القبلة):

obeikandl.com

﴿ وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا، وما أنا من المشركين ﴾.

الحجاج: وجهوه إلى قبلة النصارى، الذين تفرقوا واختلفوا بغيا بينهم، فإنه من حزبهم.

سعيد: (مبتسما):

﴿ ولله المشرق والمغرب، فأينما تولوا فثم وجه الله ﴾.

الحجاج: (يشتد غيظه) كبوه لوجهه. اجعلوا وجهه إلى الأرض.

سعيد: ﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴾.

الحجاج: اذبح عدو الله، فما أسرع لسانه بالقرآن.

سعيد: أما إنى أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله. خذها منى حتى تلقانى يوم القيامة ياحجاج.. اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدى.

(ستار)

* * *

(المنظر الأخير)

(الحجاج نائم على سريره، مستغرق فى نومه، وفجأة يفزع ويصيح):

الحجاج: أنقـذونى! أنقـذونى! أنقـذونى! خلصـونى منه! إنه يريد أن يخنقنى.. يريد أن يقتلنى!

(يدخل عليه غلام له)

الغلام: من هو ياسيدى؟ لا أحد هنا!

الحجاج: إنه هو.. هو.. س..س.. سعيد.

الغلام: سعيد .. من؟!

الحجاج: ويلك! سعيد بن جبير. يأخذ بخناقى.. سيقتلنى.

الغلام: سعيد قتل من أسبوعين.

الحجاج: أنت تخرف. إنه لم يمت.. لقد رأيته الساعة كالجمل الهائج.. يريد أن يلتقمنى.

الغلام: هذه أوهام وأضغاث أحلام يا سيدى.. سعيد مات.. قتل.. أنت قتلته.

الحجاج: لا.. لا .. أنا لم أقتله.. أنا لم أقتله.. هم الذين قتلوه..

الغلام: أنت أو هم. المهم أنه قتل ومات ودفن.

الحجاج: يا أحـمق!.. تريد أن تقنعنى بموت رجل كـان على رأسى منذ

obeikandl.com

لحظات، وقبضته على عنقى؟!

ويل للحجاج! لم يعد يصدقه أحد حتى غلامه. أغلق علىّ الباب ودعنى!

(يخرج الغلام ثم يقف ويقول) :

الغلام: سبحانك اللهم! تعز من تشاء وتذل من تشاء. وإن ذل الحجاج اليوم لبرهان على وجودك وعدلك يا أحكم الحاكمين!.

(يستلقى الحجاج على سريره.. وما هى إلا لحظات حتى يطن فى أذنه هذا الصوت)..

– بل اختر لنفسك أنت يا حجاج! فو الله ما تقتلنى قتلة إلا قتلك الله مثلها فى الآخرة.

(يفزع الحجاج مرة أخرى)

الحجاج: آه.. أرجوك.. أرجوك.. لا تقتلنى.. لاتقتلنى .. آه .. آه.

(يدخل الغلام)

الغلام: ما بك يا سيدى؟! هون عليك.. لا تخف.

الحجاج: كيف لا أخاف؟! إن شبحه لا يفارقنى.. إنه أمامى ها هو .. ألا تراه؟

الغلام: (بصوت خافت) يا عجبا!! الحجاج الذى أخاف الألوف، يخاف اليوم من شبح.

الحجاج: (وقد سمعه): إنه ليس شبحا يا غبى. إنه سعيد بشحمه ولحمه. إنه مصرٌ على قتلى.

الغلام: (ساخرا): ولم هذاالخوف من القتل؟! طالما قتلت الألوف، فذق اليوم طعم الذى أذقته للناس.

الحجاج: (مغضبا): أتشمت بى يا وغد؟ لئن عشت لأجعلنك نكالا وعبرة.

الغلام: أجبار وأنت على فراش الموت؟! تواضع لله ساعة قبل موتك.. ولكن هيهات. وصدق الله العظيم: ﴿**ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون**﴾.

(الحجاج يسقط من على السرير)

الحجاج: آه.. مالى ولسعيد بن جبير؟! ما لى ولسعيد بن جبير؟!

(يشتد فزعه، ثم يشهق شهقة فيموت)

(وعندئذ يُسمع صوت لا يُرى صاحبه):

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿**ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون، إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار. مهطعين مقنعى رؤوسهم لايرتد إليهم طرفهم، وأفئدتهم هواء**﴾.

(ستار)

«تمت»

openkandil.com

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
الفصل الأول	٦
الفصل الثانى	١٧
المنظر الأول	١٧
المنظر الثانى	٢٧
الفصل الثالث	٣٠
المنظر الأول	٣٠
المنظر الثانى	٣٦
المنظر الأخير	٤٥
محتويات الكتاب	٤٨

رقم الإيداع ٨٨/٥٣٣٧

ترقيم دولى ٥-١٥٤-٣٠٧-٩٧٧

obeikandi.com